**جامعة أبي بكر بلقايد**

**قسم التاريخ مقياس :علم المخطوط العربي**

**أ/ فطيمة.مطهري المستوى: ماستر 1 وسيط**

**المحور الرابع: الوراقة في بلاد المغرب: تاريخها وتطورها.**

**مدخل:**

**أولا- تعريف الوراقة:**

عرف ابن خلدون **الوراقة** بأنها:" عملية الانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران"[[1]](#footnote-2)، والوراقة بمفهوم العصر الحالي والحديث تعني عملية النشر بعناصرها المختلفة من: طباعة ومراجعة وتجليد ونشر وتوزيع[[2]](#footnote-3)، وكان يدعى الشخص الذي ينسخ الكتب" الورّاق" من ورق وورقة، وكان يدعى أيضا" النسّاخ"؛ كما كان يطلق عليه أحيانا اسم" الخطّاط" .

وقد مارس حرفة الوراقة أناس من مختلف مراتب الثقافة والمستويات الاجتماعية، منهم مؤلفون بارزون وعلماء كبار؛ لدرجة أن ألحقت بأسمائهم وصف" الوراق" مثل:" الوراق علي بن أحمد الوراق" (أحد نساخي القصر الصنهاجي)، فإلى جانب الوراقين المحترفين عدد كبير من العلماء والأدباء والمحدّثين والمفسرين وعلماء اللغة، وكان لكبار المؤلفين في القرون الإسلامية الأولى وراقون يتولون نسخ مؤلفاتهم وتحصيل ما يريدونه من كتب وتجليدها[[3]](#footnote-4)؛ فقد كان شائعا أن يكون للمؤلف وراقه الخاص.

لقد كان للوراقين دورا مهما في انتساخ الكتب وتجليدها والعناية بها، كما كانوا يمثلون حلقة وصل بين المؤلفين وبقية أفراد المجتمع، وكذلك نسخوا المؤلفات القيمةللأمراء والأغنياء الذين يرغبون في تأسيس مكتبات لهم، ومع إنتاج الورق بدأت المرحلة الذهبية للكتاب الإسلامي؛ فقد ازداد عدد المخطوطات كثيرا وأخذ التنافس يشمل الخلفاء والوزراء والأغنياء على اقتناء الكتب الغالية والنادرة، وأصبح الخطاطون موضع البحث والتقدير؛ بينما كان الكبار منهم يغمرون بالتواصي والهدايا القيمة[[4]](#footnote-5).

**ثانيا- صناعة وإنتاج الورق:**

لقد تم اكتشاف الورق في مقاطعة هونان؛ فانتشر بسرعة في جميع أنحاء الصين، وانتقل إلى كوريا في القرن السادس الميلادي، ودخل اليابان في القرن السابع؛ واتجه نحو آسيا الصغرى وبلادفارس متبعا طريق القوافل التجارية[[5]](#footnote-6).

عرف العرب الورق عن طريق اتصالهم بالصينيين الذين كانوا قد اكتشفوه في نهاية القرن 1م، حيث كان التجار العرب يستوردونه من هناك أثناء اتصالاتهم ببلاد الشرق الأقصى، وفي 133ه/751م أمر العرب عددا من الصينيين أثناء استيلائهم على إحدى نواحي سمرقند؛ فاكتشفوا أن جماعة من هؤلاء الأسرى يتقنون صناعة الورق، فاستفادوا من خبرتهم وأقاموا معامل للورق في هذه المدينة، وفي نهاية القرن2ه/8م أنشأت في بغداد ودمشق معامل للورق؛ كما أصبح مادة هامة للتصدير؛ فما لبثت هذه الصناعة أن عمت مختلف العالم الإسلامي، ويقول عبد الستار الحلوجي:" أن لفظ الكاغد الذي يطلقه العرب على الورق لفظ صيني الأصل دخل معجمنا اللغوي عن طريق اللغةالفارسية"[[6]](#footnote-7).

كان يصنع الورق في الصين وسمرقند وخراسان من قطع الحرير والكتان؛ إلا أن غلاء هذه المواد ونذرتها في البلدان العربية دعا إلى استخدام مواد بديلة عنها متيسرة، وهي الألياف والقطن والقنب والخرق البالية، حيث أبدعوا أسسا جديدة في صناعته، وبالتالي تطورت صناعته؛ فاتسمت بالإتقان والجودة، وأصبحت رائجة وشاع استخدامه في القرنين3-4 ه/9-10م[[7]](#footnote-8)، حيث انتقلت صناعته من سمرقند إلى الشام وفلسطين؛ ومن الشام انتقلت إلى المغرب الإسلامي؛ وعن طريق القيروان ومراكش انتقلت إلى صقلية والأندلس التي تعددت فيها مراكز صناعة الورق منها: مصانع غرناطة وبلنسية وطليطلة لصناعة أجود الورق[[8]](#footnote-9)، وكانت مدينة شاطبة على حد قول الحموي:" يعمل الكاغد الجيد فيها ويحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس"[[9]](#footnote-10)وبعد الفتح العربي والإسلامي لآسيا الوسطى انتشر استخدام الورق في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقد أسهم في إنتاج الكتاب العربي على نطاق واسع، ونشطت صناعة الورق لسد حاجات التأليف والعلماء وطلاب العلم وحاجات الدولة المختلفة.

وتمّ اختراع الورق وانتشاره كمادة للكتابة عليه بعد أن تراجع استخدام كل من الرق والبردي، إذ يذكر ابن خلدون:" ثمّ طما بحر التآليف والتدوين، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك. فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد، وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه، واتخذه الناس من بعده صحف لمكتوباتهم السلطانية والعلمية. وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت"[[10]](#footnote-11).

وبانتشار الورق انتشرت مهنة جديدة هي**:" الوراقة**" وهي عملية الاستنساخ والتصحيح والتجليد وكل ما يتصل بالكتابة والكتاب.

**ثالثا- مواد وأدوات الخطاطة (الكتابة):**

**1-أدوات الكتابة:** لقد حظيت أدوات الكتابة باهتمام كبير من طرف المسلمين وغيرهم من الأقوام والشعوب؛ لأنها تساهم في نشر العلم والثقافة، والكتابة وسيلة لنقل وتبادل الأفكار والمعارف بين البشر، والاهتداء إليها خلال العهد السومري كان من أبرز اكتشافات العالم القديم، لذلك قدستها الشعوب القديمة، وأضفت عليها طابع الألوهية[[11]](#footnote-12)، وباختراع الكتابة دخل الانسان مرحلة التاريخ، وكانت بذلك الحد الفاصل بين مرحلة ما قبل التاريخ والمراحل التاريخية اللاحقة. وقد خصص القلقشندي الجزء الثالث من كتابات "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" للخط العربي؛ كما قدم لنا في الجزء الثاني[[12]](#footnote-13) عرضا مفصلا عن صفة الأقلام والأدوات التي كان يستعملها الكاتب وهي كالتالي:

1.1.**القلم:** استعمل العرب القلم وقد سمي قلما لأنه مأخوذ من شجر القلام ورقه كورق الحرف(الرشاد)، وقيل:" أنّ أهمّ آلات الكتابة جودة القلم وصحة بريه"[[13]](#footnote-14)، والقلم يبرى بريا تتفاوت أنواعها بين الدقة والغلظة، وقد استعمل الخطاطون لكل نوع من الخط قلما؛ حتى أنهم أطلقوا على بعض الخطوط أسماء أقلام( الثلث)[[14]](#footnote-15).

وقد استعمل العرب في البداية أقلامهم من لب الجريد؛ ثم من أقلام القصب، ويختار من القصب أنواع مناسبة في الحجم والطول، ويبرى القصب ويقطع سنه بطريقة ومساحة تناسبان نوع الخط الذي يكتب به؛ فيصير القصب قلما يكتب ويخط به[[15]](#footnote-16)، ومن خصائصه أن لا يكون القلم شديد الصلابة واليبس، ويكون طوله حسب ابن مقلة بين 12و16 عرض الأصابع، وأما بريه فأركانه أربعة كما صح: فتح، ونحت، شق، وقط[[16]](#footnote-17).

1. **2. المداد الحبر:** سمي المداد مدادا لأنه يمد القلم ويعينه بالاستمداد، كما سمي الزيت مدادا لأن السراج يمد به، وكل شيء يمد به كالليقة ومما يكتب به فهو مداد، وفي قوله سبحانه وتعالى:" قل لو كان البحر...."[[17]](#footnote-18)، والمداد من المداد لا من الإمداد، وأما الحبر فاصله اللون، وأثر المداد في القرطاس، وقد يسمى حبرا من الفعل يحبر الشيء بمعنى يترك عليه أثرا[[18]](#footnote-19)؛ فهو مشتق من الحبار: أي الأثر بمعنى يترك أثر الكتابة على القرطاس، منها ما يحتاج إلى علاج كبير كالعفص والزجاج والصمغ، ومنها ما يحتاج إلى علاج وتدبير وهو الدخان، وقال ابن مقلة: "وأجود المداد ما اتخذ من سخام النفط"[[19]](#footnote-20).
2. **3. الدواة المحبرة:** في اللغة ما يكتب به، تستعمل لحمل وإيواء الحبر، أي المكان الذي يوضع فيه الحبر، و**الملواق** وهو ما يحرك به الحبر.
3. **4 أدوات أخرى:** ومنها: **المدية-المقط-المرملة-المنشاة-المنفذ-المفرشة-الممسحة-المسقاة-المسطرة-المصقلة-المهرق-المشن[[20]](#footnote-21).**

**2-مواد الكتابة:**

يجمع كثير من المهتمين على أنّ الطين كان المادة الأولية للكتابة، كما كتب الإنسان على المعدن وخاصة النحاس والبرونز والرصاص، وعلى الحجر والشمع[[21]](#footnote-22)؛ الذي استخدمه اليونان والرومان، حيث غطوا ألواحا خشبية بطبقة من الشمع حتى يمكن استخدامها عدة مرات عن طريق إذابة مادة الشمع لمحو الكتابة، كذلك صنع الإنسان من جلود الحيوان ورقا يكتب عليها؛ مثلما حدث في جنوب شرق آسيا والهند وسيلان[[22]](#footnote-23).

ومما لا شك فيه أنّ المواد الولية للكتابة اختلفت باختلاف البيئة التي تواجد فيها الإنسان وحسب ما توفرت لديه من المواد؛ ففي العصر الجاهلي استعملوا عدة مواد واستمرت لغاية ظهور الورق ومنها:

1. **1 العسب والكرانيف:** كانت أكثر شيوعا واستعمالا لتوفرها وسهولة الحصول عليها في البيئة الصحراوية، والعسب جمع عسيب وهي السعفة أو جريدة النخل إذا يبست ونزع خوصها، أما الكرانيف فجمع كرنافة، وهي أصل السعف الغليظ الملتصق بجذع النخلة[[23]](#footnote-24).

**2.2.العظام( الأكتاف والأضلاع):**كان العرب يكتبون على أكتاف وأضلاع عظام الإبل، الجمال والأغنام، واستعملت لكتابة القرآن الكريم؛ واستمر استعمالها حتى العصر العباسي الأول(2ه/8م)[[24]](#footnote-25).

1. **3 .الجلد:** لقد استعملت بكثرة وشاع استخدامها وخاصة في صدر الإسلام ومنها:

**1.3.2.الرّق:** هو جلد الغزلان أو الشياه الصغيرة أو الجداء، استعمله المصريون القدامى، والإغريق،كما عرفه العرب في العصرين الجاهلي ثم الإسلامين وذكر ذلك القرآن الكريم:" والطّور...في رقّ منشور"[[25]](#footnote-26). وكان يشترط في أن يكون مذبوحا ذبحا شرعيا حتىيكون نقيا طاهرا لكتابة الألفاظ العربية وخاصة إذا تعلق الأمر بكتابة القرآن الكريم، كان الرق أهم مواد الكتابة في العالم الإسلامي؛ واتخذه المغاربة في العصر الإسلامي الوسيط[[26]](#footnote-27).

**2.3.2. الأديم:** هو الجلد الحمر أو المدبوغ، وكان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يستعمل لكتابة الوحي.

**3.3.2. القضيم:** هو الجلد البيض، استعمل هو الآخر في كتابة الوحي.

**2. 4. مواد أخرى:** ومنها: **الحجارة واللخاف-الخشب-الفخار والخزف-المعادن-المهارق-القباطي-البردي-الورق والكاغد[[27]](#footnote-28).**

1. - ابن خلدون، المقدمة، 428. [↑](#footnote-ref-2)
2. - حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1998، ص58. [↑](#footnote-ref-3)
3. - هجيرة تمليكشت، الوراقة الإسلامية، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد3، 2013، ص103. [↑](#footnote-ref-4)
4. - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق، ص61. [↑](#footnote-ref-5)
5. - هجيرة تمليكشت، المرجع السابق، ص101. [↑](#footnote-ref-6)
6. - عبد الستار الحلوجي : المخطوط العرب، الدار المصرية-اللبنانية، ط1، ماي 1423ه/2002م، ص30. [↑](#footnote-ref-7)
7. - أسامة ناصر الدين النقشبندي: الورق والكاغد، مجلة حضارةالعراق، ج9، بغداد، 1985،ص ص443446. [↑](#footnote-ref-8)
8. - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق، ص31. [↑](#footnote-ref-9)
9. - هجيرة تمليكشت، المرجع السابق، ص102. [↑](#footnote-ref-10)
10. -ابن خلدون، المقدمة، ص428-429. [↑](#footnote-ref-11)
11. -محمد صغيرغانم: التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1979،ص ص 18- 32؛Contenau (G) la civilisation phenicienne, ed, Payot, Paris, 1949, p21. [↑](#footnote-ref-12)
12. - القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1963، ج2،ص456-471. [↑](#footnote-ref-13)
13. - عبد الحق معزوز، المرجع السابق، ص111. [↑](#footnote-ref-14)
14. - نفسه، ص111. [↑](#footnote-ref-15)
15. - هجيرة تمليكشت،المرجع السابق، ص105. [↑](#footnote-ref-16)
16. - عبد الحق معزوز، ص111. [↑](#footnote-ref-17)
17. - سورة الكهف، الآية 109. [↑](#footnote-ref-18)
18. - عبد الحق معزوز، ص111. [↑](#footnote-ref-19)
19. - هجيرة تمليكشت، ص105. [↑](#footnote-ref-20)
20. - للمزيد ولمعرفة أكثر عن هذه الأدوات ينظر، القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص-ص، 456-471. [↑](#footnote-ref-21)
21. - ربحي مصطفى عليّان، أمين النّجداوي، مقدمة في علم المكتبات والمعلومات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1420ه/1999، عمان، الأردن، ص10. [↑](#footnote-ref-22)
22. - شعبان عبد العزيز خليفة، الببليوغرافيا أو علم الكتاب...، المرجع السابق، ص30. [↑](#footnote-ref-23)
23. - ابن منظور، لسان العرب،م2، ص279. [↑](#footnote-ref-24)
24. - عبد العزيز الدالي، الخطاطة الكتابة العربية، ط2، مصرن 1413ه/1992م، ص111. [↑](#footnote-ref-25)
25. - سورة الطور، الآيات 1-2-3. [↑](#footnote-ref-26)
26. - هجيرة تمليكشت، المرجع السابق، ص97. [↑](#footnote-ref-27)
27. - للمزيد اكثر عن هذه المواد ينظر، هجيرة تمليكشت، ص –ص، 98-102. [↑](#footnote-ref-28)